بطولة وجهاد

- أحمد عرابى .. (البطل حين توجه السهام)
- مصطفى كامل.. (طارد اليأس من الحياة)
- محمد فريد.. (الشهيد الشريد)
- سعد زغلول.. (إرادة قارعت الاستعمار)
- عز الدين القسام.. (وجع فى قلب إسرائيل)
- عزيز على المصرى.. (أبو الثوار)
- عمر المختار.. (شيخ الشهداء)
- عبد القادر الجزائرى.. (المجاهد والفقيه الشاعر)
- محمد نجيب.. (الزعيم الذى أكلته الثورة)

أحمد عرابى

البطل.. حين توجه السهام

- قاوم الإنجليز وحارب الاستعلاء التركى.
- الشيوخ الثلاثة: الخديوى منحاز للعدو ومارق عن الدين.
- أمر توفيق بعزل عرابى ورفضت قراره فتوى شرعية
- أغرب المحاكمات: المحكمة والشهود مصريون والدفاع انجليزى

جميل أن يظن الناس الجمال فى إنسان، لكن الأجمل أن يكون ذلك الإنسان جميلاً حقًا، ويكتنز داخله النبل والنقاء اللذان لا تفنيهما محاولات التشويه.

فى حياة الأمم والشعوب، رجال كتبوا بشجاعتهم، صفحات خالدة فى سجل الجهاد والكفاح، عرّضوا حياتهم للخطر دفاعًا عن الأرض والوطن، رفعوا راية الحرية فى وجه الحاكم المستبد، مطالبين بعودة الحقوق إلى أصحابها. وبدلاً من أن ينالوا التكريم، ويعترف الناس بفضلهم، تعرضوا لحملات التشويه والتجريح، والافتراء.

من هؤلاء، ضابط فلاح من إحدى قرى محافظة الشرقية، استطاع باجتهاده وعلمه ووطنيته، أن يكون زعيمًا للثائرين من الضباط المصريين، الذين تمردوا على ظلم واستبداد الخديوى توفيق، الذى اسند المناصب القيادية فى الجيش المصرى إلى الضباط الشراكسة.

وقف أحمد عُرابى، فى ميدان عابدين فى القاهرة، ببسالة وشجاعة الجندى الذى لا يهاب الموت، ليقول للخديوى العبارة التى سجلها له التاريخ: «لقد خلقنا الله أحرارًا، ولم يخلقنا ترابًا أو عقارًا، فوالله الذى لا إله إلا هو، سوف لا نُورث ولا نُستعبد بعد اليوم».

نشأة عُرابى

وُلد أحمد عرابى فى ٣١ مارس (آذار) ١٨٤١ فى قرية «هرية رزنة» التابعة لمحافظة الشرقية.

نشأ عرابى فى بيئة صميمة فى قلب الريف ومن أسرة متوسطة. والده هو محمد عرابى، من سلالة الحسين بن على بن أبى طالب، ووالدته فاطمة بنت

سليمان. كان والده شيخًا على «هرية رزنة» وعالمًا أقام فى الجامع الأزهر عشرين عامًا. تلقى خلالها: العلم والفقه والحديث والتفسير، وكان والده متزوجًا من ثلاث نساء، وأحمد عرابى هو الابن الثانى بين أربعة ذكور، وست إناث.

بدأ عرابى تعليمه فى سن الخامسة فى القرية. وختم القرآن الكريم خلال ثلاث سنوات. وتوفى والده فتكفله أخوه الأكبر «محمد عرابى». وعلّمه مبادئ الحساب والخط. والتحق عرابى بالأزهر عام ١٨٤٩ وقضى عامين ثم عاد إلى بلده، حيث ترك والدة ٤٧ فدانًا خص عرابى فيها بثمانية أفدنه ونصف الفدان.

حياته العسكرية

ظل أحمد عرابى فى بلدته، حتى أمر الخديوى سعيد (باشا)، قائد الجيش، بتجنيد أولاد عمد «البلاد» ومشايخها. وكان سعيد باشا يفضل المصريين على الأتراك والشراكسة. ودخل أحمد عرابى الجيش سنة ١٨٥٤ وانتظم فى سلك «الأورطة السعيدية» فى «قناطر فحم البحر». وعين برتبة وكيل «بلوك أمين»، من أول يوم لانتظامه فى سلك العسكرية. بعد ذلك عُقد امتحان بحضور إبراهيم بيك «الأميرالاى»، وحسن أفندى «حكيم ألاى» فتقدم له عرابى، ثم رُقّى إلى رتبة بلوك أمين فى العام ذاته. وعلم عرابى أن رتبة «بلوك أمين» تعنى أن يبقى جامدًا ولا يرتقى إلا إلى رتبة الصول، فطلب من «الأميرالاى» وضعه فى رتبة «جاويش»، ولم يتردد فى ذكر السبب للأميرالاى، وحُقق له ما أراد، ومكث فى رتبة الجاويش عامين. وكانت الترقيات فى تلك الفترة تتم عن طريق الامتحانات، التى كان يجتازها عرابى ببراعة، وساعده على ذلك دراسته فى الأزهر. ورُقىّ عرابى من رتبة «باش جاويش» إلى رتبة ملازم ثان ثم إلى ملازم أول، ثم «يوزباشى» ثم «صاغ قول أغاسى»، ثم «بكباشى»، ثم إلى رتبة قائمقام (عقيد). وهى الرتبة التى لم يصل إليها أحد من المصريين قبله. وقد نال هذه الرتبة معه عثمان رفقى، الذى أصبح لاحقًا «ناظر الجهادية».

وذكر عرابى أنه حصل على تلك الرتب فى مدة ستة أعوام إلا عشرين يومًا،

منذ دخوله الخدمة، نظراً لتفوقه، واجتيازه امتحانات الترقيات، وأعلن سعيد باشا سنة ١٨٦٢، أن الحكومة مدينة بمبلغ ٦ ملايين جنيه مصرى، وهو ما يعادل إيراد الحكومة فى ذاك الوقت سنة كاملة. وكان ذاك المبلغ ثمن أسلحة ومهمات حربية وملابس وذخائر عسكرية، موصى عليها فى معامل أوروبا، وأمر بفصل جميع «الآلايات» وأبقى «أورطة» واحدة، وأمر بإيداع الضباط فى المحافظات والمديريات حسب رغبتهم، مقابل صرف نصف المرتب فى مدة إيداعهم ثم مات سعيد باشا بالسرطان، بعد أن أعاد الضباط إلى وظائفهم.

التمييز ضد المصريين

تولّى إسماعيل «الخديوية» وأمر بإنشاء ٦ «آلايات بيادة». وكان عرابى برتبة «قائمقام» فى «الآلاى السادس»، وكان خسرو باشا «أميرالاى» «الآلاى الثانى»، ثم رقّى إلى رتبة لواء باشا. وكان خسرو متعصبًا ضد العرب، ووجد عندما أصبح قائدًا «قومندان» على «الآلاى»، مدى عروبة ووطنية عرابى، فسعى إلى فصلة من «الآلاى»، حتى يمكن له ترقية أحد أبناء المماليك «مصطفى افندى سليم بك»، الذى كان يُلقّب «الحجازى». وصار يترقّب الفرص للإيقاع بعرابى، حتى استطاع فصله.

وتظلّم عرابى إلى الخديوى سنة ١٨٦٧، فأمر بعودته إلى صفوف الجيش. وعندما تولى توفيق «الخديوية»، أنعم على

بلاغة

قابل عرابى رئيس النظّار ليعرض عليه المطالب الشعبية، فأجابه قائلا: «ليس فى البلاد مَن هو أهل لمجلس النواب».

فقال عرابى: «عجبًا. إنك مصرى وباقى النظار مصريون، والخديوى أيضًا مصرى. أتظن أن مصر ولدتكم ثم عقمت؟ ففيها العلماء والنبهاء والفضلاء والبلغاء. وعلى فرض أنه ليس فيها مَن يليق، كما ظننت، أفلا يمكن إنشاء مجلس يستمد معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية، وبعد خمسة أعوام يتخرج فيها رجال يحترمون الوطن بصائب فكرهم ويعضدون الحكومة فى مشروعاتها الوطنية.

فانبهر رئيس النظّار وقال: سننظر فى طلباتكم هذه..

عرابى برتبة أميرلاى، بعد أن مكث تسعة عشر عامًا برتبة «قائمقام»، فتوجه إلى رأس التين وقدم شكره وامتنانه للخديوى. وانضم عرابى بعد ذلك إلى «ياوران» الخديوى. وعندما تولى عثمان رفقى باشا، الشركسى، نظارة «الجهادية»، أمر بمنع ترقية المصريين من العساكر العاملين فى الآلايات، وقام بحركة تعيينات وتنقّلات لتعزيز قوته وإضعاف الضباط المصريين.

بداية الثورة

وفى ١٥ يناير ١٨٨١م اجتمع عدد من الضباط فى منزل أحمد عرابى، منهم عبد العال حلمى، وعلى فهمى وألفى أفندى يوسف، وأحمد عبد الغفار، واتفقوا على أن يتحدث أحمد عرابى باسمهم، وأقسموا على فداء الوطن بأرواحهم، وكتبوا عريضة إلى رئيس النظار «رئيس الوزراء» يشكون ناظر الجهادية عثمان رفقى، لانحيازه لبنى جنسه وإجحافه فى حقوق الوطنيين. وطالبوا بعزل «ناظر الجهادية» وتأليف مجلس نواب، وزيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألف جندى، وتعديل القوانين العسكرية وإلغاء السُّخرة، ووقّع العريضة أحمد عرابى، وعلى فهمى، وعبد العال حلمى، وقدموها إلى رياض باشا، رئيس النظار.

وعُقِدَ فى ٣١ يناير ١٨٨١م فى قصر عابدين، اجتماع رأسه الخديوى توفيق، وتقرر إيقاف ومحاكمة أمراء الآلايات الذين وقعوا العريضة، وحاول عثمان رفقى «ناظر الجهادية»، أن يخدعهم فأرسل إليهم فى المساء ذاته يدعوهم للحضور صباح اليوم التالى، أول فبراير ١٨٨١، للاحتفال بزفاف جميلة هانم، شقيقة الخديوى، وذلك فى مبانى قصر النيل التى بُنى مكانها الآن «فندق النيل هيلتون» ومبنى الجامعة العربية. وأدرك الضباط أن هذا فخ، فطلبوا من القوات الموالية لهم، إذا تأخروا داخل قصر النيل أكثر من ساعتين، اقتحام المعسكر وإطلاق

سراحهم، وبعد أن دخلوا مر عليهم خسرو باشا كبير الشراكسة، وتوقف أمام عرابى وزميليه، وقال ساخرًا: «ايه زميللى هرف مر»، وتعنى بالعربية «فلاحين شغالين بالمقاطف». وأدركوا أنهم وقعوا فى الفخ، وتحركت القوات الموالية لهم، وأخرجتهم من الاعتقال . وتحركت هذه القوات، وعلى رأسها عرابى، إلى قصر عابدين وطالبت بعزل عثمان رفقى، ووافق الخديوى وعين محمود سامى بدلاً منه وتحدد بذلك، طريق عرابى والجيش وطريق الخديوى أيضًا.

يوم عابدين

أصبح أحمد عرابى والخديوى توفيق كعدوين. لا يأمن أحدهما الآخر، وحدد أحمد عرابى موعد التحرك الساعة الرابعة عصر يوم الجمعة التاسع من سبتمبر ١٨٨١م. وتوافدت قوات الجيش على ميدان عابدين بقيادة عرابى، وأحمد عبد الغفار وعلى فهمى، وأحمد صادق، وفودة حسن وعبد العال حلمى، وإسماعيل صبرى، وإبراهيم فوزى. وازدحم الميدان بجماهير الوطنيين والأجانب. ونزل الخديوى توفيق إلى الميدان وطلب أحمد عرابى الذى توجه إليه، وسيفه فى يده، وخلفه ثلاثون ضابطًا، ودار هذا الحوار:

الخديوى: ما أسباب حضورك بالجيش إلى هنا؟

ـ عرابى: جئنا يامولاى نعرض عليك طلبات الجيش والأمة، وكلها طلبات عادلة.

الخديوى: وما هذه الطلبات؟

ـ عرابى: إسقاط الوزارة المستبدة، وتأليف مجلس نواب على النسق الأوروبى، وأن يكون الجيش على العدد المعين فى الفرمانات، والتصديق على القوانين العسكرية.

الخديوى: كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا.

ـ عرابى: لقد خلقنا الله أحرارًا ولم يخلقنا تراثًا أوعقارًا. فوالله الذى لا إله إلا هو، سوف لا نُورث ولا نُستعبد بعد اليوم.

وعاد الخديوى توفيق إلى «قصر عابدين»، لكن المطالب أجيبت وأُسقطت الوزارة. وصدر يوم الرابع من أكتوبر ١٨٨١م أمر الخديوى بانتخاب مجلس النواب، وتم افتتاح المجلس يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٨١م. وأقال الخديوى وزارة رياض، وتأكدت زعامة عرابى للأمة.

حرب باردة

بعد يوم عابدين دخلت الأطراف المختلفة، أحمد عرابى، والخديو توفيق، الإنجليز، والقوى الموالية لعُرابى، والقوى المعادية له، مرحلة من «الحرب الباردة» يحشد كل طرف فيها قواته، ويهيئ نفسه للمعركة الفاصلة المكشوفة.

وفى ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢م، تقدمت إنجلترا وفرنسا بإنذار لنظارة محمود سامى البارودى، وأرسلت نسخة من الإنذار للخديوى توفيق، تطالب باستقالة الوزارة، وخروج أحمد عرابى من «القُطر»، وتحديد إقامة عبد العال حلمى وعلى فهمى فى الريف، وتخفيض عدد الجيش. وبادر توفيق إلى قبول الإنذار، واجتمع مجلس النظّار فى منزل محمود سامى البارودى، ورفض الإنذار رفضًا تامًا. وقدم النظار يوم ٢٦ مايو استقالاتهم، احتجاجًا على الإنذار، وقَبلَ الخديوى الاستقالات، وأرسل ضباط الآلايات فى الإسكندرية برقية إلى الخديوى توفيق، يتمسكون فيها بعُرابى ناظرًا للجهادية، وقالوا إنه إذا مضت ١٢ ساعة، ولم يعد عرابى إلى منصبه كناظر للجهادية فإنهم غير مسئولين عمّا يحدث. ووقعت البلاد فى اضطراب.

«وصف مصر»

سطر أحمد عرابى مذكراته، وكتب عن رحلته فى منفاه، معبرًا عن أحاسيسه ومشاعره، واصفًا ما رآه فى سفره، وفى حلّه وترحاله، بأسلوب أدبى جميل. وكتب يصف ساعة الرحيل من السويس: «قامت بنا الباخرة تشق عباب البحر، قاصدة جزيرة سيلان. وبعد قيامها ولّينا وجوهنا شطر مصر ننظر إلى جمالها وحُسن منظرها، ونودعها بقولنا: «ياكنانة الله صبرًا على الأذى، حتى يأتى الله لك بالنصر»، ولا نزال ننظر إلى جوها وجبالها حتى توارت عن أعيننا.

وحضر إلى العاصمة عدد كبير من أعيان البلاد ومستخدمى الحكومة. وقدموا العرائض لعُرابى، يطالبونه برفض الإنذار أو عزل الخديوى. واستُدعى عرابى فى ليلة السبت ٢٧ مايو ١٨٨٢م، إلى منزل «محمد سلطان»، الموالى للخديوى والمعادى لعرابى.

وذهب عرابى، وعلى فهمى، وعبد العال حلمى، ومحمد عبيد، وكان المنزل غاصًا بأعضاء مجلس النواب، واتفقوا على أن يطلبوا من الخديوى رفض الإنذار الثنائى، ورجوع أحمد عرابى، إلى نظارة الجهادية، أو عزل الخديوى، إن لم يتم ذلك.

واستمر التوتر، حتى قدم الأدميرال سيمور، قائد الأسطول الانجليزى، يوم العاشر من يوليو (تموز) سنة ١٨٨٢ إنذاراً إلى طُلبة باشا «قومندان» الإسكندرية، قال فيه: إنه سيضرب المدينة عند شروق شمس اليوم التالى.

الثلاثاء الحزين

وانطلقت القذائف الانجليزية من البحر صباح الثلاثاء، الحادى عشر من يوليو ١٨٨٢م، تدك قلاع الإسكندرية ومبانيها. وذكر الشيخ محمد عبده أن نحو مائة وخمسين ألفًا من السكان وقعوا فريسة الموت والفزع، وانطلقوا إلى شط المحمودية وإلى دمنهور، ومن دمنهور إلى القاهرة. وكان هدف الإنجليز احتلال البلاد، وهدف الخديوى توفيق، القضاء على أحمد عرابى وحركته، واستمر قصف الإسكندرية منذ أن أطلقت البارجة «ألكسندرا»، مدافعها فى الساعة السابعة والدقيقة الرابعة من صباح ذلك اليوم. حتى اليوم التالى، واندلعت الحرائق فى كل الأوجاء وكان أحمد عرابى فى «طابية كوم الدكة»، وسط المدينة، يقاوم ويصدر أوامره بالمقاومة. وكانت خطة الإنجليز والخديوى أن يقطعا الطريق على عرابى، ويأسراه فى الإسكندرية.

وقرر أحمد عرابى وأركان حربه أن يذهبوا إلى «كفر الدوار» ليقطعوا الطريق

على قوات الإنجليز ومنعها من احتلال البلاد. وكان حقد الإنجليز والخديوى قد بلغ مداه، وأرادا دفن عرابى والموالين له فى الإسكندرية، وتشويه سمعتهم فى مصر والخارج. وفوجئ الجميع بزعم سليمان سامى داود، قائد «الآلاى السادس»، أنه أمر بحرق الإسكندرية بتعليمات من أحمد عرابى. وكان الهدف هو الإجهاز على سمعة عرابى. ولم يقدم دليلاً واحدًا يثبت أن عرابى هو الذى كلفه بحرق الإسكندرية، وكانت الدلائل تشير إلى أن توفيق هو الذى أمر سليمان بذلك، وأن الأجانب وآخرين من الموالين لتوفيق قاموا بإشعال نيران الحريق. وتكشفت الحقائق بعد الاحتلال بعام، حين وقف اللورد تشرشل فى مجلس العموم سنة ١٨٨٣م ليقول إنه قد تم شنق سليمان، قبل أن يبوح بأسرار خطيرة، تدين الخديوى توفيق فى مسألة حرق الإسكندرية.

المقاومة والانتصار

كانت خُطة عرابى، بعد ضرب الإسكندرية وإحراقها، تسير فى اتجاهين: الأول التصدى لقوات الاحتلال الزاحفة، والثانى كشف خيانة الخديوى توفيق أمام الأمة. وأرسل عرابى يوم ١٦ يوليو ١٨٨٢م، بعد ضرب الإسكندرية وإحراقها بأربعة أيام، خطابًا إلى يعقوب سامى باشا، وكيل وزارة الحربية، وهو من أنصار حركة عرابى، يعلن فيه خيانة الخديوى توفيق البلاد، ويدعوه إلى عقد المجلس العرفى للنظر فى الأحوال. وفى اليوم نفسه اجتمع يعقوب سامى، بعدد من وكلاء النظارات وكبار الموظفين والضباط، وحضور نحو ٤٠٠ شخص، وقرروا ضرورة حضور الخديوى توفيق إلى القاهرة، وتشكيل لجنة برئاسة على مبارك، لإبلاغ هذا القرار للخديوى، وكان رد الخديوى يوم ٢٢ (يوليو) عزل عرابى من «نظارة الجهادية». وكان عرابى بين جنوده فى كفر الدوار، ولم يعبأ بقرار الخديوى، وطلب من يعقوب سامى عقد اجتماع آخر للمجلس العرفى، فى ضوء رفض الخديوى قرار الاجتماع الأول. وعُقِدَ الاجتماع الجديد وحضره

نحو ٥٠٠ شخص، وعُرضت فيه فتوى شرعية من الشيخ حسن العدوى، والشيخ محمد عليش، والشيخ محمد الخلفاوى. تقول: إن الخديوى توفيق بانحيازه إلى العدو، يُعد مارقًا عن الدين. ورفض الاجتماع قرار توفيق بعزل عرابى.

وأصدر الأدميرال سيمور. منشوراً باسم الخديوى يحث الناس على الهدوء. وصدر بيان يوم ١٧ يوليو يشير إلى أن تجهيزات الحرب، هى مسئولية عرابى، وأن الخديوى غير مسئول عن تصرفاته، وانحاز الخديوى توفيق إلى العدو علنًا، بينما كانت مصر مع عرابى. وثبت عرابى والجيش المصرى خمسة أسابيع كاملة فى كفر الدوّار، يصدُّون كل هجمات الانجليز. ولم تتمكن قوات الاحتلال من دخول أبى قير، ثم هزم المصريون الإنجليز فى موقعه عزبة خورشيد، وأجبروهم فى كفر الدوار، على الارتداد إلى الإسكندرية، بعد معارك استمرت ٤ أيام. ولم يبقَ أمام الإنجليز والخديوى سوى الخديعة والخيانة، التى تعرّض لها عرابى فى موقعة التل الكبير، التي انتهت بالهزيمة والمحاكمة.

محاكمة ظالمة

كانت محاكمة عرابى من أكبر المحاكمات غرابة فى تاريخ القضاء المصرى. وحُوكم سنة ١٨٨٢م أمام المحكمة الخديوية المصرية، المكونة آنذاك، من رؤوف باشا وإبراهيم الفريق باشا، وإسماعيل كامل باشا. وكان الذين شهدوا ضد عرابى سلطان بك وأحمد السيوفى وسعيد السماحى. وكان من الغريب أن يكون أعضاء هيئة المحاكمة وشهود الإثبات من المصريين. وأن الذين وقفوا للدفاع عن عرابى كانوا من الإنجليز. وكانت تهمته هى أنه دافع عن مصر ضد الاحتلال البريطانى، مخالفا بذلك، تعليمات وأوامر الخديوى توفيق.

وجاء أيضا فى الاتهام أن عرابى «رفض مقابلة الخديوى، وذهب إلى كفر الدوار مصطحبًا معه العساكر مخالفًا كل الأوامر، وأمر بإخلاء الإسكندرية من

غير أن يصدر له الأمر بذلك، وأوقف حركة السكة الحديد، وقطع جميع المخابرات التلغرافية عن سمو الخديوى، ومنع عودة المهاجرين لوطنهم الإسكندرية، واستمر على التجهيزات الحربية، وهو ما أوجب عزله من نظارة الجهادية».

وزعم الشاهد سلطان بك، رئيس مجلس النواب، أن عرابى هدد النواب، «وانتهى به التهور إلى المناداة بخلع سمو الخديوى، وثار النواب معه والعساكر وقالوا: «الخديوى مخلوع».

وافترى عليه «حضرة الشيخ البحراوى»، وقال إن عرابى أثناء خطبته «نسب إلى سمو الخديوى، الكفر والخروج على دين الإسلام (والعياذ بالله)»، وتم فى نهاية التحقيقات، تجريد عرابى من سيفه وأُدخِلَ السجن هو ومن معه.

فى المنفى

نُفى عرابى يوم ٢٧ ديسمبر ١٨٨٢م، إلى جزيرة سيلان (سريلانكا) على ظهر الباخرة مريوط، وقضى فى منفاه ١٩ عامًا. وعاش عرابى فى منفاه مذمومًا عند قومه، وعندما جاء وهو شيخ اشتعل رأسه شيبا، لم يحترم أحد له شيئًا من حسن نيته، ولم يحفظ له شيئًا من تاريخه الطيب، بل أتُّهم ضميره بالخيانة، ولا يعلم الضمائر إلاّ الله. كان ذلك بسبب خطابات العفو التى كتبها عرابى وزملاؤه إلى ملكة إنجلترا، التى كانت تحتوى على معاناة ومذلة هؤلاء الثوار. وفور عودته أخذ فى

نصيحة عرابى لليابان

زار أحمد عرابى فى جزيرة سيلان، المستعرب اليابانى، ساريجى نسومورا، المهتم بالشؤون المصرية. ودار بينهما حوار، سجله المستعرب اليابانى فى كتاب صدر باللغة اليابانية سنة ١٨٨٧م بعنوان: «حوار مع عرابى باشا».

وختم المؤلف كتابه بكلمة من الزعيم أحمد عرابى بعنوان «إلى الدولة الفتية اليابان»، ينصحها فيها بضرورة التعامل بحذر مع القوى الغربية، الطامعة فى ثروات الشعوب الآسيوية والإفريقية.

مدح الإنجليز فقال: «فإنى لم أجد من الذين قاتلتهم وحاربتهم غير معاملة الكرام، الذين يستحق معروفهم الشكر». وكان لهذه التصريحات أثر كبير فى نفوس الناس. وكانت مصر فى تلك الفترة. تغلى سخطًا على الاستعمار وسياسته. ووجد البعض العُذر لعرابى، الذى ذاق آلام الغربة، وفقد كل أملاكه وأمواله، وتخلّى الناس عنه، «وهو الذى أراد الدفاع عن مصالح الوطن والمواطنين».

بين المدح والقدح

كان لمدح عرابى للانجليز، بعد عودته من المنفى، أثر كبير فى نفوس الشعب المصرى، واستقبلته الصحف بين مدح وقدح. وفى حوار له مع محرر جريدة «المقطّم» فور وصوله، مدح عرابى الإنجليز، وقال إنه يتمنى السفر إلى إنجلترا، فها جمته الصحف وعلى رأسها جريدة «اللواء» برئاسة مصطفى كامل، لعزمه على زيارة ملك بريطانيا. كما هاجمه لهروبه فى معركة التل الكبير. وذكر أن عرابى «ليس بالجندى الذى عُرف بالبسالة، والإقدام فى ميدان القتال». كما انتقده فى اعتماده على حماية فرديناند دى ليسيبس قناة السويس، وعدم إغلاقها. وردّت بعض الصحف ومنها «المقطم»، على هذه الحملة، قائلة إن عرابى لم يكن يقصد تلك النتيجة، وإن مقصده ومقصد الأمة، هو الاستقلال عن التدخل الأجنبى. وكان من الذين نقدوا عرابى أيضًا الشيخ محمد عبده، وأمير الشعراء أحمد شوقى، الذى كتب قصيدة يذمّ فيها عرابى.

وأخطأ عرابى فى مدح وإطراء الإنجليز، فأسدل ستاراً ممزقًا على مسرحية وطنية خالدة. ويقول منتقدوه: إنه كان من المفروض أن يمتنع عن الخوض فى الأحاديث السياسية، كما فعل محمود سامى البارودى، وطُلبة باشا، فلم تتعرض لهما الجرائد بالنقد، بل امتدحت موقفيهما جريدة «اللواء»، أشدّ الجرائد هجومًا على عرابى. واستمر عرابي فى محاولاته لرد ممتلكاته لكنها باءت بالفشل، إلى أن وافته المنية فى ١١ سبتمبر سنة ١٩١١م، وأعلنت وفاته وكالة «رويتر».